

حديث

صاحب السيادة

المترولوجي فيليب صليبيا

في معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي

في البلمند ١٩٩٩/٩/٢٩



صاحبي السيادة المترولوجيت الياس قربان ملاك أبرشية طرابلس والمترولوجيت الياس عودة ملاك أبرشية بيروت، حضرة السيد الدكتور إيلي سالم رئيس الجامعة، قدس الارشمندريت بولس عميد المعهد اللاهوتي ورئيس دير سيدة البلمند، حضرات الأساتذة والطلاب الأحباء.

لا يمكن ان تتصوروا عمق فرحي اليوم عندما وصلت إلى هذا المعهد الذي كان لأبرشية أميركا الشمالية شأن فيه، وسمعت هذه الترانيم الملائكية التي ترتفع بالإنسان عن مستنقع هذه الدنيا إلى المأ الأعلى، فتحس وكأنك في السماء. هذا ما شعرت به تماماً عندما سمعت طلاب هذا المعهد قادة المستقبل يستقبلوننا بالترانيم الإلهية العذبة والمستعذبة.

كلما صعدت إلى هذه التلة المقدسة، تعود بي الذكريات إلى السنين الخوالي يوم كنت طالباً مع زملائي الطلاب، وكنا صغاراً. ففي عام ١٩٤٥، دعاني الرب كما دعاكم انتم لتكونوا شهوداً له ليس فقط في البلمند، ليس فقط في اليهودية والسامرة، بل في كل أصقاع الأرض. هذه هي رسالة البلمند ان نشهد للإيمان الأرثوذكسي ليس فقط في هذا المشرق العربي، بل في كل أصقاع الدنيا إلى أوروبا وأميركا الشمالية وأميركا الجنوبية وكل بقعة من بقاع الأرض.

لقد بدأ البلمند معهداً لاهوتياً، وجاءت الجامعة لتتوج هذا العمل. وإذا قرأتم تاريخ جامعة Princeton وتاريخ جامعة Harvard، وغيرها، تجدون أن كل هذه الجامعات بدأت معاهد لاهوت ومن ثم اصبحت جامعات. هذا ما اعرفه عن أميركا الشمالية.

هذا قدر البلمند وقدر هذه التلة. لقد بدأت هذه الرحلة الفكرية في المعهد اللاهوتي، والآن تنتصب على هذه التلة البديعة جامعة البلمند بكل إمكانياتها الحاضرة والمستقبلية، فالتقدم لا يقف عند حد.

التاريخ هو ديناميكية مستمرة. التاريخ ليس نقطة معينة يقف عندها الإنسان. نحن في اللاهوت الأرثوذكسي عندنا *Deification*. هناك تواصل عند الإنسان في حياته، حتى يتحد بالله، او حتى يصير الإنسان مشاركاً للطبيعة الإلهية كما يقول بطرس الرسول.

اذكر، والماضي عذب مستعذب يحن إليه المرء، اذكر كيف عشنا في الدير القديم. هذا المعهد مع الأسف، لم يكن موجوداً في أيامي. كنا سعداء تعلمنا الصلاة في الدير. وطالب اللاهوت ان لم يتعلم الصلاة والتأمل والتعبد فماذا يتعلم؟ العلم وحده لا يكفي. في أميركا الكثير من العلم. وأنا أقول ان أميركا تعيش فترة ما وراء المسيحية. في هذا الدير تعلمنا الصلاة والعبادة مع الترتيل. لقد تعلمنا محبة بعضنا أيضاً. المحبة كانت تربطنا مع مدير المعهد ومع الأساتذة اذكر منهم المرحوم جورج نادر رحمة الله عليه ولا أنسى إننا كنا نسهر على سطح أبو جراس ومع الأسف أبو جراس لم يعد موجوداً اليوم (دردشة مع الأب العميد مع تأكيد إن أبو جراس عاد). كنا في العشيات النديات نجلس على سطح أبو جراس ونتطلع الى البحر، والى الفيحاء، وكنا نشم أحيانا عطر الليمون الذي يهب من الفيحاء. كنا نمزق صمت الليل بتراتيلنا، فالذكريات كثيرة جداً.

وبعد ان مكثت سنتين في الدير حملني ركب الحياة إلى حمص حيث تعرفت على السيد صديقنا وحبينا وعضو مجلس أمناء (أبرشية أميركا)، مع فواز من قلحات. درست في حمص ثم دعاني المثلث الرحمات البطريرك الكسندروس طحان فكنت اذهب إلى الآسية واطبع رسائله على الآلة الكاتبة لقد تعلمت الكثير منه رحمة الله عليه. يعرفه سيادة المطران الياس قربان انه Perfectionist كما يقول. يحب الكمال في كل شيء

بعد دمشق أحسست بتبرم في الحياة، وقد يكون هذا من أطوار الشباب. فقلت لنفسي: مالي وهذه المدينة؟ لماذا لا أعود إلى الدير؟ تذكرت الايام القديمة وهذنت في كل أعمالك وعدت الى الدير بعد استئذان صاحب الغبطة. لم يكن مبسوطاً مني على موقفي وكنت مولعاً بالعربية وآدابها فعينت مدرساً للعربية وناظراً على الدير. واذكر إننا عملنا فرقة *Volley-Ball*، وكنا أحياناً نغلب أهل قلحات ولكن لم نكن نغلب أهل ددة وبشمزين وبطرام. بعد تلك السنة، وكانت من اجمل سني حياتي. كانت هناك روابط متينة تشد الطلاب فيما بينهم. وعندما كان يجوع الطلاب، كنت اذهب إلى طرابلس، وكانوا يدفعون لي ١٥٠ ل. لشراء أكل لمشاركة الطلاب بؤسهم. بعد سنة حصلت على منحة دراسية أصر عليّ المرحوم البطريرك الكسندروس ان اذهب إلى روسيا حيث كان النظام شيوعياً وأنا ما أحببت في يوم من الأيام جواً بدون حرية، فرجوت صاحب الغبطة ان اذهب إلى بريطانيا، فأذن لي. ذهبت وأنا لا املك شر ونقير. أمضيت فيها سنة في كلية لاهوتية وسنة أخرى في جامعة لندن درست فيها الأدب الإنكليزي في القرنين ١٨ و ١٩ و عدت بعد ذلك إلى بيروت لمدة سنة وكان ذلك أواخر سنة ١٩٥٥، وكنت مع سيدنا قربان سمح لي صاحب الغبطة بالذهاب إلى أميركا سعياً وراء العلم في العالم الجديد.

كنا نظن ان أميركا هي بلد الكابوي وان الناس يطلقون النار على بعضهم. ولم نكن نعلم أن أميركا بلد متقدم هناك تخرجت بإجازة في التاريخ من جامعة Wayne State . وبعد ذلك رسمني

المتروبوليت انطونيوس بشير سنة ١٩٥٩ كاهناً على رعية كليفلاند اوهايو خدمت فيها من ١٩٥٩-١٩٦٦ حيث رسمني المجمع المقدس مطراناً على أميركا الشمالية.

كانت علاقتي مع سيدنا انطونيوس بشير علاقة أبوة وبنوة وكنت أحادثه بكل حرية و بكل صراحة. كان سريع البديهة والنكته.

عام ١٩٦١ رافقته إلى لبنان وسوريا لحضور جلسات المجمع. في تلك الفترة انتخب المطران قربان متروبوليتاً على طرابلس. وكان هو كاهن في بوسطن. وعندما عدت إلى أميركا اذكر انه اتصل بي على الهاتف وقال: ماذا عملتم هناك؟ قلت: اخترناك مطران على طرابلس. قال: هل تظن إنكم عملت لي معروفاً؟ بس هكذا يريد الله. وانظروا كم عمل ونجح لم يكن المطران انطونيوس سعيداً في المجمع. ولدى عودتنا إلى أميركا، وبينما كانت الطائرة تمخر عباب الجو على علو ٤٠,٠٠٠ ألف قدم رأيت وجه المطران متجهماً. مابك؟ لماذا التجهم؟ قال لي: أنا أخشى على مستقبل إنطاكية. قلت له: إن كنت تخشى على إنطاكية، فلن ينقذها إلا معهد لاهوتي. تسيره أنت من مال أبرشية أميركا لينتصب على هذه التلة منارة للروح. فافتتحت. وعام ١٩٦٥ وعد المطران وقال: أنا سأتبرع ب ٢٥٠ ألف دولار لبناء معهد يوحنا الدمشقي. هذه كانت نقطة تحول في تاريخ الكنيسة الإنطاكية.

ومع الأسف انتقل المطران إلى رحمته تعالى قبل ان يحقق وعده. وعندما أصبحت خلفه في أبرشية أميركا الشمالية لم اكن أنسى حديثنا في الطائرة وأنه يجب أن ننفذ الوصية. ونفذت الوصية ووصل لي خبر من سيدنا البطريرك والمتروبوليت عودة والبير لحام أن المال لا يكفي . فاجتمعت مع مجلس الأمناء وأرسلنا ٥٠ ألف دولار لتكميل المشروع العظيم.

أريد توجيه بعض النصائح لطلاب المعهد وأشكر العميد وكل الهيئة التي تعمل معهم وتصلي معهم لا يكفي ان تتعلم. يجب ان تتعلم فن الصلاة. وكيف يصير تواصل بينه وبين الله، بينه وبين الناس. الرب لك من كل قلبك.... وقريبك كنفسك وإلا لن ينجح مع الناس. يجب ركز على اللاهوت الرعائي، واللاهوت العقائدي ولا نساوم على الوديعة التي تسلمناها من الآباء . أعجبني الأستاذ جورج نحاس على L.B.C. لم يساوم على الأرثوذكسية في حوارهِ مع الغير.

الدعوة الإنجيلية تتجلى في الخدمة. الكاهن خادم للشعب. الكبير خادم كما يقول السيد المسيح. ما جئت لأخدم بل لأخدم وأبذل نفسي.

الكاهن الذي لا يخدم الناس لماذا يصير خوري. يعمل حاله Scholar للكتابة والتأليف. أما الكاهن فيجب أن يعيش مع الناس. يغسل أرجلهم. القديس باسيليوس الكبير يقول: إذا عشت لوحدي أرجل من سوف اغسل. الكاهن يتحلى بالخدمة. الكاهن متواضع. تواضع تكن كالنجم لاح للناظر على صفحات الماء وهو رفيع ولا تكن كالدخان يعلو بنفسه على طبقات الجو وهو وضع اعظم شيء في حياتكم هو المحبة. اقرأوا العهد الجديد (إلى أهل كورنثوس) يقول بولس الرسول: إذا كان لي الأيمان... ولم تكن في المحبة فلست بشيء.

بعد قيامة المسيح التقى يسوع تلاميذه: أتحبني (٣مرات) فزع بطرس وقال: أنت تعلم إنني احبك . ارفع خرافتي .

بدون المحبة لا نحقق شيء. يكون متفوق وأنا من لا يحب لا يعطي. العطاء المادي والروحي هو تعبير عن محبة. محبة الله. ومحبة الناس.

ما هو اللاهوت؟ انه لاهوت المحبة. انه اللاهوت الذي يمس الإنسان في غناه وفي فقره، في عافيته وفي مرضه، في حياته وموته. يصبح لاهوت ضبابي.

يسوع لم يترك الناس. تحنن على أرملة نابين وأقام ابنها. ثم رأى رجل البركة ٣٨ سنة ولم يجره أحد فشفاه. نحن نترشح يومين فنندمر.

لاهوت المحبة يجب ان يترجم. اللاهوت النظري لا يعني لي شيئاً. اللاهوت خدمة للآخرين. يسوع ذهب إلى برية الأردن لكنه عاد ليداوي أمراض الناس. بعد السقوط صار الإنسان مريضاً روحياً وجسدياً. سرّ التجسد محبة ولم يكن فعل ضرورة عند الله. كل شيء في العالم تخربط لذلك جاء يسوع.

أنا سعيد بلقائكم اليوم بوجود السادة رفيق طفولتي المطران الياس قربان والمطران الياس عودة الذي كانت فيه صفات القيادة في معهد القديس فلاديمير (نيويورك). الله لم يؤسس الكنيسة ليتركها للديب. قبل صعوده قال : اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم.

اهتموا بالتبشير والوعظ. في الوعظ انتبهوا إلى ربط اللاهوت بالحياة. أولاً بالمكان والمشاكل التي تواجه العالم في هذا المكان. وفي الزمان أي على عتبة الألفية الثالثة. اليوم هناك هجمة على المسيحيين. مسيحيون في أميركا لا يؤمنون بالتجسد ولا بالقيامة. هناك هجمة شرسة على الكنيسة. ثم إذا كان عندك رعية من دراويش لا تعلمهم من غريغوريوس بالاماس غنوا العالم على مستوى يفهمونه. (وذكر حادثة له في مطلع حياته الكهنوتية). إذا قرأت العهد الجديد: كان يسوع يخاطب الناس بالأمثال. ان تنزل إلى مستوى الناس ليغذيهم بالكلمة.

يمكن لبعضكم أن يصبحوا نساك ولكن أرجو أن تعودوا إلى معترك الحياة لخدمة الناس.

(وشكر الأب العميد على إتاحة هذه الفرصة.)